المحاضرة الثامنة: نظرية النوافذ المكسرة.

تستند نظرية النوافذ المحطمة إلى أن الجريمة نتيجة حتمية لخلل يصيب المجتمع، وبالتالي إذا كانت هناك نافذة مكسورة ومر بعض الوقت، ولم يتم إصلاحها، سيستنتج الناس الذين يمرون بها أن لا أحدً يهتم، وليس هناك أحد مسؤول، وبعد فترة سيتم كسر المزيد من النوافذ، وبالتالي ستنتشر الفوضى من المبنى إلى الشارع الذي يقابله، وهذا سيؤدي إلى إرسال إشارة بأن كل شيء مباح.

وقد تكون البداية من مشكلات بسيطة نسبيا مثل الفوضى العامة، لكنها في الواقع تمثل دعوات إلى المزيد من الجرائم الخطيرة، فيا ترى كم من الأمثلة لدينا تحاكي نظرية النوافذ المحطمة؟ تبدأ كمشكلة بسيطة ثم تتطور في تعقيدها بعدد من المراحل والدوائر لتصبح نقطة تحول لنوع من الجرائم الخطيرة المنظمة.

نظرية النوافذ المحطمة هي نتاج فكر المنظرين (واضعي النظريات) في علم الجريمة: **جيمس ويلسون** و**جورج كيلنج** في عام 1982، حيث مثلت فترة الثمانينات من القرن الماضي قمة منحنى عدد الجرائم المرتكبة في مدينة نيويورك الأمريكية، لكن لسبب لم يُحدد بدقة انخفض هذا المعدل بمقدار 75%في فترة التسعينات التالية، فكثرت التحليلات والتفسيرات لكن تبدو **نظرية النوافذ المحطمة (Broken windows theory)** الأكثر قبولا ومنطقية.

يرى المنظران أن الجريمة هي نتاج الفوضى وعدم الالتزام بالنظام في المجتمعات البشرية، إذا حطم أحدهم نافذة زجاجية في الطريق العام، وتركت هذه النافذة دون تصليح، فسيبدأ المارة في الظن بأنه لا أحد يهتم، وبالتالي فلا يوجد أحد يتولى زمام الآمور، ومنه فستبدأ نوافذ أخرى تتحطم على ذات المنوال، وستبدأ الفوضى تعم البيت المقابل لهذا النافذة، ومنه إلى الشارع، ومنه إلى المجتمع كله، ولا تقتصر النظرية علىى النوافذ المحطمة، بل تشمل السيارات المهجورة، ومراتع القمامة، والأركان المظلمة من الشوارع والطرقات.

كانت البداية في مدينة نيويورك، تمثلت هذه النافذة المحطمة في الرسومات على المباني ووسائل المواصلات العامة (جرافيتي)، والتعرض للمارة في الشوارع، والسرقات والنشل والاغتصاب والقتل وما وراء ذلك، موجز القول أن **الجرائم عدوى تصيب المجتمع وتتنقل ما بين أفراده**، وكما أن الطاعون القاتل يأتي عن طريق جسيم لا يرى بالعين المجردة، فإن النظرية ترى أن ميكروب الفوضى يأتي من مستصغر الشر والفوضى.

وتحديدا في قطارات الأنفاق في منتصف الثمانينات، عينت بلدية نيويورك **جورج كيلنج** مستشارًا لقطاع المواصلات العامة – قطارات الأنفاق، وهو ناشدهم أن يضعوا هذه النظرية قيد الاختبار، بدءًا بالرسومات على القطارات، فرضخ قطاع المواصلات في النهاية، وعينوا **ديفيد جان** مشرفا على خطة تطوير مترو الأنفاق، والذي بلغت ميزانيتها أكثر من ملياري دولار.

كان النقاش هل البداية تكون بشراء قطارات حديثة، أم القضاء على تلوين الفتيان للقطارات، وعلى ظاهرة التهرب من ماكينات تحصيل نقود تذاكر ركوب القطارات، وعلى الجرائم التي تحدث في حرم محطات القطارات، أصر **ديفيد** على البدء بصغائر الآمور: **الرسومات.** لقد رأى فيها الدليل على فساد النظام، وبالتالي لن يجدي أي شيء آخر ما لم يعالج هذه العدوى أولا.

دحض **ديفيد** فكرة شراء القطارات الحديثة أولا وتشغيلها ثم القضاء على الرسامين بالتساؤل: ما فائدة

غسل سطح سفينة تايتنك وهي في طريقها للاصطدام بجبل الثلج الذي أغرقها في دقائق؟ رسم **ديفيد** خطته المعتمدة على غسل القطارات بشكل دوري وإزالة أي رسومات داخل أو خارج القطارات، أنشأ **ديفيد**

محطات غسل في نهايات رحلات القطارات، تتولى إزالة أي رسومات تظهر على القطارات، وإذا استلزم الآمر وقت طويل بخروج هذا القطار من الخدمة حتى الانتهاء من إزالة الرسومات التي لحقت به.

استمر **ديفيد** في عمله التنظيفي هذا من 1984 إلى 1990 ، دون كلل أو ملل، حتى عين قطاع

المواصلات **ويليام براتون** ليرأس شرطة المواصلات، ليبدأ المرحلة الثانية من تنظيم قطاع مترو الأنفاق . كان **وليام** رجلا ملتزما قد عينه **ديفيد جان،** ومؤمنا بنظرية النوافذ المحطمة، وممن تتلمذوا على يد **كيلنج،** قرر **ويليام** البدء بالقضاء على ظاهرة التهرب من دفع قيمة التذاكر، لأنه رأى فيها ما رآه **ديفيد** في الرسومات، إنها الميكروب حامل العدوى، فترك المخالفة دون عقاب يزيد من المخالفين.

وجد **ويليام** أنه عند قيام بعض الركاب بالتهرب من ماكينة تحصيل النقود، بالقفز فوقها أو الالتفاف

حولها، فسيبدأ الباقون في التقليد وعدم الدفع، رغم أنهم كانوا في طريقهم للدفع طواعية، لاحظ **ويليام**

كذلك تقاعس رجال الشرطة عن ملاحقة هؤلاء المتهربين، ذلك أن الجري ورائهم والقبض عليهم كان

يستغرق منهم يوما كاملا من العمل، وملء النماذج وكتابة البيانات، وحين يعودون بالمتهرب إلى المخفر، كان يفرج عنه في نهاية الليل.

ولحل هذا المشكل وفر **ويليام** حافلة وحولها لتكون مكتبا فلا يضطر رجال الشرطة للعودة إلى المخفر بطريدتهم، وجرى العمل بانتشار عشرات من رجال الشرطة المتنكرين، بدأوا في المحطات ذات أعلى نسب تهرب، وبدأوا يقبضون على المتهربين واحدا تلو الأخر، ثم يكبلونهم بالأصفاد خلف ظهورهم، ويجعلونهم يقفون في طابور على المحطة، ليراهم الجميع، ومع توفر المكتب المتنقل، استلزمت الإجراءات الورقية للقبض عليهم أقل من ساعة.

بدأ رجال الشرطة الذين كانوا ينفرون من ملاحقة المتهربين يلاحظون أن الموقفين هم هدايا السماء لهم، فمن كل سبعة متهربين، تبين بالبحث في سجلاتهم أن واحدًا منهم هارب من أحكام سابقة، ومن كل عشرين متهرب هناك واحد يحمل سلاح أو ممنوعات، وهكذا بدأ رجال الشرطة يبحثون عن مفاجآت القبض على المتهربين.

بعد فترة، بدأ رجال العصابات يتوقفون عن التهرب من دفع تذاكر الركوب، وبدأوا يتركون أسلحتهم ورائهم قبل ركوب القطارات، وتحول رجال **ويليام** للجرائم الأخرى مثل ركوب القطارات تحت تأثير الخمور والمخدرات، وهم ركزوا على الصغائر والدقائق قبل الكبائر والمصائب.

استمر **ويليام** من 1990 حتى 1994 وبالتحديد حتى تم انتخاب **رودولف جولياني** عمدة نيويورك، والذي قرر بعده تعيين **وليام** مدير عام لشرطة نيويورك كلها، وهو استمر على منهجه.